المصطلح اللساناتي بين التأسيس والتجريب

الأستاذ بلقندوز هواري

جامعة سعيدة

1. تقديم :

لقد باتت اللسانيات بمنظومتها المصطلحاتية وجهازها المفاهيمي في العقود الأخيرة من القرن العشرين تلامس معظم الحقول المعرفية على اختلاف مشاربها، إنسانية كانت أم علمية دقيقة، مؤثرة فيها ومتأثرة بها. وكلازمة لهذا التفاعل الإبستيمولوجي الذي سرعان ما طبع البحث اللساناتي المعاصر تنظيرا ومراسا، أضحى المعجم اللساناتي يشهد تناميا اصطلاحياتيا من شأنه أن يتمثّل الجهاز المفاهيمي لهذا الحقل المعرفي في التنظير والإجراء. ولئن كانت هذه العملية تتأدى– في مستوى اللغات الغربية– بتوجيه واع وكيفية مثلى شكلتهما خصوصيات الحضارة الغربية، فإن ساحة البحث اللساناتي العربي ما فتئت تسير بخطى متثائبة ومتعثرة وسط ذلك الركام الاصطلاحاتي الذي لم يعد يتطلع إلى الضبط الدقيق لحدود المفهوم لحظة تشكله الأولى، بل غدا يقر بارتجالية متضاربة في الإجراء الاصطلاحاتي ترجمة وتعريبا ووضعا، يختلط فيهما ما ينتمي إلى عناصر اللغة، وما هو عارض في سيرورات اللغو. وعلى غرار ذلك لم ترق الجهود والمساعي العربية لا سيما الفردية منها إلى مستوى تجاوز ما يسمى بأزمة المصطلح عموما، والمصطلح اللساناتي خصوصا، الذي بات سببا ونتيجة لعثرة تلقي الحداثة الغربية وما بعدها في الوطن العربي.

ومن هذا المنطلق كان البحث اللساناتي العربي الذي يروم الظاهرة اللغوية والنحوية – في رحاب هذا الوضع المعرفي– ضاربا صفحا عن إشكال المصطلح بملابساته المنهجية والنظرية، سواء أكان ذلك في مستوى المؤسسات والهيئات التعريبية من مثل: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، ومعهد الدراسات والأبحاث التعريبية بالرباط كذالك، أم على مستوى جهود وأبحاث المختصين اللسانيين العرب نذكر منهم: د.محمود السعران،د.عبد المجيد عطية، د.إبراهيم أنيس،د.عبد السلام المسدي،د.الحاج صالح...وغيرهم.

ومن ثم كان إسهام هده المؤسسات والجهود الفردية المتفرقة لا يتجاوز استهلاك المصطلح ارتجالا من قبل أصحابه، ولا يحيط بإشكالاته تنظيرا ومنهجة. والسبب يرجع في رأي أحد الباحثين إلى: "**غياب تمثل نظري للقضية المصطلحية،وإلى عفوية المنهجيات المقترحة لضبط الاصطلاح، والمظنونة التي وراء هده العفوية هي أن المشكل المصطلحي مشكل مراسي بالأساس**"1. يفهم من هذا أن الشرعية المنهجية للاصطلاح وضعا ونقلا (من ترجمة وتعريب) تظل رهينة الاستعمال الفعلي للمصطلح وتكيفه مع الطاقة التعبيرية للغة(Energie expressive) بغية إنمائها وتنويعها وفق الحاجات الحضارية لمتكم اللغة. ولما كانت هذه الأخيرة مهمة ملقاة على عاتق الباحث اللسانياتي بالدرجة الأولى، بات من الضروري عليه أن يتوخى منهجية وضبط وسائل التوليد اللغوي_(Neologie)، ومراعاة سبل التطويع(Modulation)على مستوى محور التلاقح عبر الحقولي(Interaction Interdisciplinaire) تحتل فيه اللسانيات مركز الصدارة بإجرائها الاصطلاحاتي الذي سرعان ما انفك يشرف بحسه التوليدي(sens néologique) على مراس المصطلح في بقية الحقول المعرفية الأخرى. ومن هنا جاءت تلك القيود النظرية والمنهجية التي تحكم عملية توليد المصطلح لتقول اختصاصا معرفيا جديدا اجتزئت ورقته من دفتر اللسانيات ألا وهو المصطلحية (Terminologie) هذا الأخير الذي يستمد أصوله النظرية من مجموعة من الفروع هي:التوليد (Néologie)، والأثاله(Etymologie)والمعجميات(Lexicologie) والترجمة(Traduction).

وفي رحاب هدا التعميق المنهجي الذي شهده البحث اللسانياتي ذلك الفرع المعرفي الجديد، دأبت النظرية المصطلحاتية إلى السعي نحو ضبط المصطلح تنظيرا وتطبيقا، بوصفه خطوة علمية دقيقة باتجاه تسديد المعرفة المصطلحية نحو الموضوعية العلمية.ولما كانت الظروف المرحلية التي تجتازها اللغة العربية، تضطرها في غالب الأحيان إلى توليد المصطلح خارج اللغة أي عن طريق الترجمة والاقتباس أكثر من التوليد الداخلي (الوضع)، بات من الضروري على الصناعة المعجمية العربية (Lexicographie)الانتقال من أحادية اللغة(Monoligual) إلى تعددية اللغةMultilingual ،مواكبة لزمن تداخل الثقافات والحوار العلمي والحضاري المفتوح الذي ما برح يتشكل عن طريق مجموعة من القنوات الألسنية الأجنبية من مثل: الانجليزية والفرنسية والاسبانية والألمانية والروسية.... تسعى العربية على غرارها إلى الانتماء إلى هدا الفضاء التثاقفي بوعي روح العصر، ومجتمع المعرفة. ولن يتأتى لها ذلك –فيما يبدو لنا–إلا بتجاوز عصبيات الأسلفة، والادعاء المغالط للخصوصية والتميز، اللذين أوقعاها في موضع ضعف نسبي، إن لم نقل في تحفظ إيديولوجي تجاه المناهج اللسانياتية الغربية المعاصرة،

وحسبنا حجة في ذلك ما كانت عليه قضية تجديد النحو العربي نحو إمكانية التوحيد المنهجي بين المدرستين (البصرة والكوفة)، وعلاقته بتعليمية Didactique اللغة العربية المعاصرة، لا تزال معلقة لاعتبارات من هذا القبيل، لا يسعنا الحديث عنها في هذا المقام لأسباب منهجية ليس إلا...

2.استقراء المعجم اللسانياتي:

إننا إدا ما التفتنا التفاتة عجلى إلى التراث العربي نجد أن علمائنا القدامى قد عنوا بوعي وعمق معرفيين بمسألة ضبط المصطلح وضعا وتعريبا، إذ غدت مصنفاتهم تجميعا مصطلحاتيا دقيقا يكترث بالحقول الدلالية وميوعة المصطلح بغية التفسير اللغوي الدقيق، على نحو ما نجد في شرح المفصل لابن يعيش، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، والفروق في اللغة لأبي هلال العسكري. ومن هذا المنطق كان الاصطلاح التراثي بمثابة أرضية صلدة تشرف بقسط وافر من الشرعية المنهجية على وضع المصطلح تسمية واستعمالا انطلاقا من فطرة اللغة العربية وملابساتها النفسية والبيئية. إلا أن المصطلح ظل في تلك الحقبة الزمنية حبيس معطيات اللغة الموصوفة آنذاك، حيث أضحى يقتصر على نموذج المصطلح البلاغي والصرفي، والعروضي واللغوي.

في حين أخذت الدراسات اللغوية العربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين منعطفا تحديثيا جديدا مادة وشكلا إثر احتكاكها بالمناهج اللسانيايتة الغربية إلا أنها "**لم تسلم–باستثناء بعض منها– من العموميات ولم تتخلص خاصة من نزعة صفوية تقعيدية رائدها تبرير منزلة الفصحى وتمجيدها دون الاعتماد في ذلك على مناهج لغوية وصفية حديثة**" 2. ومن ثم ظل المصطلح آنذاك حبيس معيارية المادة اللغوية وقياسيتها في نموذجها التراثي الشيء الذي لم يسمح لتلك الجهود بإنارة مشكل المصطلح من أساسه المعرفي الذي يمت بصلة إلى النظرية اللسانية. ويمثل هذه الحقبة الزمنية كل من" رفعت الطهطاوي وجبر ضومط، والأب انستاس الكرملي، والأب مرمجي الدومينيكي، وتبعهم في ذلك جيل من المؤلفين والمترجمين اللغويين المعاصرين بإسهاماتهم النظرية الجديدة في تطوير البحث اللسانياتي منهجا ومادة نذكر منهم: الفرنسي فندرياس Vendreyes، وأنيس فريحة، وإبراهيم مصطفى،وعبد الواحد وافي،والحاج صالح وإبراهيم أنيس. إلا أن هذين الباحثين الأخيرين قد تمكنا من

التخلص بعض الشيء من بعض القيود الكلاسيكية 3 من خلال تخريج بعض المصطلحات العربية القديمة تخريجا آناكرونيا 4.

وفي ضوء هذا التبلور المنهجي الذي شكل حياة المصطلحات اللغوية، اتسم المعجم اللسانياتي بالانتقال التدريجي من المعجم الأحادي اللغة، إلى المعجم متعدد اللغة، حيث إن النموذج الأول يجد مبررا له ضمن مصنفات ومعاجم علمائنا القدامى وما عالجوه من معطيات المادة اللغوية الموصوفة آنذاك. أما النموذج الثاني فيمثل واقع المعجم العربي، إذ يعتمد ثروة مفرداتية خارجية وهو يغرف من موردي الترجمة والتعريب 5 . وعلى هذا الأساس، طفق المصطلح اللسانياتي في ضوء راهنية الوضع المعجمي يتجه إلى خارج اللغة العربية عن طريق النقل و الترجمة، إلا أن الإشكال التقني الذي يظل قائما في مستوى اغتراب المصطلح– إن جاز لنا هذا التعبير– يكمن في التساؤل إلى أي مدى يمكن لشرعية التوليد بشقيه (الترجمة والتعريب)، أن يبرر وضعية المصطلح واستقراره المنهجي ؟ ثم ما هي الاستراتجيات المنهجية التي بإمكانها أن تؤطر عملية اتجاه المصطلح إلى خارج اللغة العربية؟؟. لكي يتأتى لنا أن نجيب عن أي تساؤل من هذا القبيل، ينبغي لنا أن نعرج على واقع الممارسة المصطلحاتية، في ضوء استقراء جهود بعض الهيئات والبحثة المعنيين بإشكال المصطلح تنظيرا ومراسا.

3.الأبعاد النظرية والمنهجية لإشكال المصطلح:

لما كان المصطلح لغة خاصة(Jargon) اقتطعت مادته اللغوية من المعجم اللغوي العام ليوظف في حقل معرفي معين، كان لزاما عليه أن يخضع للضوابط التي يخضع لها المعجم العام من مثل الضوابط الصرفية والدلالية والتركيبية والصوتية 6. لعل هذا القيد النظري الذي يحكم عملية الاصطلاح يجد مبررا له في التراث العربي، وحسبنا في ذلك ما قاله الجوهري في الصحاح:" **وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها**" 7.

مادام المصطلح يتصل من وجه بالنسق التصوري العام للغة، انطلاقا من نسخ كل لغة للتجربة الخارجية بأدواتها الإجرائية الخاصة، بات من الصعب الانتقال من لغة إلى لغة ومن ثقافة إلى أخرى عبر جميع

مستويات اللغة، ومن ثم طرحت الأسلوبية المقارنة هذا الإشكال عرضا وتحليلا ضمن ما يسمى بأساليب الترجمة غير المباشرة (Traduction Oblique) حيث كان للمصطلحية نصيب من التقاطع المعرفي معها، لتغرف من إطارها النظري قصد إنارة ظاهرة المصطلح اللسانياتي. ومن ههنا اعتبر بعض اللسانياتيين ظاهرة الإعراب في اللسان العربي (من رفع ونصب وجر) يقابلها في اللغات الهيندوأوربية [8] نظام الحالاتSystème des causes والمتمثل في الحالات التالية: Subjective, agentive, dative, genitive, oblique, objective, accusative.. [9]. ونحسبه ضربا من تطويع النسق التصوري لحركية الفعل النحوية في اللغات الطبيعية أي من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف. إلا أن مسألة التطويع هذه تنتقل من المستوى المفاهيمي النظري العام إلى المستوى المصطلحاتي الإجرائي الخاص، مبنى ومعنى قصد احتضان مقابلات لصيغ ومفاهيم أجنبية، ولن يتأتى لنا ذلك إلا باللجوء إلى ما نعته عبد القادر الفاسي الفهري بالمصطلح الخارجي حيث يعرفه على أنه: "**جهاز اصطلاحي يصاغ ويشيد إلى جانب المصطلح الداخلي بناء على مقولات فكرية داخلة حتى نستطيع التعبير بألفاظ عربية عما يعبر عنه بألفاظ أجنبية**" [10]. ومع ذلك لا يسلم وضع المصطلح من هذه الزاوية من مشاكل نظرية تفضي إلى تعايش ثقافي نسبي بين اللغات، إن لم نقل إلى هيمنة ثقافية من شأنها أن تزعزع النسق العام للغة الهدف لا سيما في علاقة المصطلح بالمتلقي.

3-2-استقرار المصطلح اللسانياتي العربي:

إننا إذا أردنا أن نستقرئ واقع المصطلح اللسانياتي من حيث انتاجيته(Productivité) وفعاليته، نجد أن جل الأبحاث اللغوية الأكاديمية التي يرد فيها المصطلح، عبارة عن دراسات جامعية في قضايا لسانياتية تتناثر فيها المصطلحات الأجنبية بمقابلات عربية مختلفة ومتعددة، أو نصوص لسانياتية أجنبية مترجمة مع تذييل مصطلحاتي فني يفتقر إلى الدقة. وفي هذا الإطار نجد أن أولى المحاولات الارتجالية–نقولها بتحفظ منهجي– تستوقفنا لا محالة مع د.رشاد الحمزاوي في مؤلفه:" معجم المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية"، الذي يحصي فيه المؤلف حوالي 1200 مصطلحا موزعة ما بين المصطلح المولد الخارجي بالدرجة الأولى وبعده المصطلح المولد الداخلي (الأناكروني) ذو الأصل القديم، مكترثا بالجانب الإجرائي التطبيقي للمصطلح على غرار القرارات النظرية للمجامع والهيئات التعريبية، ثم ما فتئ الحمزاوي

في مؤلفه يردف كل مصطلح بتعريف عربي يكون بمثابة تذييل مفاهيمي، يظل وفيا من جهة أخرى للنظريات والنصوص اللسانياتية التي استعمل فيها المصطلح، توخيا للموضوعية العلمية تارة، و لمراعاة اعتبار وصف المادة الاصطلاحاتية تارة أخرى.

وقد جاء عمل"د.محمد رشاد الحمزاوي" موزعا على النمط الآتي:

-المعجم العربي الأعجمي (انجليزي-عربي)، وهو ذو ترتيب ألفبائي مردف بتعريفات.

-المعجم الأعجمي العربي، وهو ذو ترتيب أبجدي فرنسي انجليزي.

محاولة وضع معجم مختار أعجمي عربي انطلاقا من المصطلحات المستعملة في المؤلفات المستقرأة .11

في ضوء هذا العرض السريع لمضامين عمل المؤلف في ميدان الكتابة المصطلحية يتضح لنا أن" د.الحمزاوي" يسعى في رحاب هذه المحاولة المتميزة إلى الإفلات من القيود التقليدية التي باتت تؤطر وضع المصطلح من الزمن ردحا، حيث سادت عفوية الارتجال المصطلحاتي، من مثل ترجمة: Discours بقول وكلام وحديث وترجمة Signe برمز وإشارة وعلامة، وترجمة Phrase بركن وتركيبة وتكوينة 12. وعلاوة على ذلك يتجه المؤلف إلى التمرس في أحضان الجهاز المصطلحاتي الخارجي عن وعي نظري ومنهجي تعزى المزية فيه إلى مؤهلات وإمكانيات الحمزاوي في حقل الترجمة، إلا أن هذا المعجم يحسب في قائمة المدونات الفونولوجية المتخصصة، ومن ثم فإنه يفتقد إلى تمثيل المصطلحات اللسانياتية المتعلقة بالفروع والنظريات الأخرى من مثل مدونة النحو التوليدي والتحويلي، ومدونة المصطلحات المتعلقة بالدلاليات، والتداوليات، ولسانيات النص.

ولعل هذه المحاولة التي سجلها الحمزاوي تظل رهين مرحلية الوضع المصطلحاتي بوصفها ملمحا من ملامح حياة المصطلح من جهة، ومن جهة ثانية لها ما يبررها-إلى حد بعيد- إن نحن وقفنا نتأمل واقع وراهنية الدرس اللسانياتي العربي عموما، والمصطلحاتي العربي خصوصا . وفي هذا الإطار

نسجل بعض المصطلحات المترجمة التي أوردها الحمزاوي تارة، واجتهد في نقل بعضها تارة أخرى نقلا قابلا للنقاش نحو:

–Lexicologie معجمية – Allophone الصوت المنطوق

–Phonologie علم التشكيل الصوتي– Dialectologie الألسنية.

–Semantique السيمية – Philologie فقه اللغة (فيلولوجيا) 13 .

تبدو هذه المقابلات الواردة غير دقيقة في تمثلها النظري لمدلول المصطلح في اللغة المصدر لاعتبار اختلافات ناتجة عن نوعي التعريب والترجمة تارة، كما هي الحال في (Sémantique) أهي سيمية أم علم المعاني أم دلاليات أم سيمانتيك ؟ وتارة أخرى يعود الاعتبار إلى تشعب الحقول الدلالية التي يغطيها المفهوم الأصلي في اللغة المصدر، سنأتي للحديث عن هذه النقطة تفصيلا في مقام لاحق. ويستحسن أن ننبه في هذا المقام إلى أن حياة المصطلح بدأت تتحرر جزئيا من قيود مرحلة الفوضى والاضطراب في الوضع مع نشاطات مكتب تنسيق التعريب، حيث بات من أهدافه الأساس التوحيد المنهجي للمصطلح، وكنموذج للترجمات والمقابلات الجيدة نورد مايلي:

Lexicologie دراسة المفردات (علم متن اللغة)Allophone بدل صوتي (وجه أداء) ، Phonologie الصوتيات الوظيفية، Dialectologie علم اللهجات،، Philologie فيلولوجيا (دراسة النصوص القديمة) 14؛ وهي فيما نرى مقابلات تبدو أعمق وأدق مطابقة للنسق التصوري العام للغة الهدف (اللغة العربية) من تلك التي أوردها د.الحمزاوي.

3–3 وسائل التوليد المصطلحاتي وتقنياته المنهجية:

إن عملية الاصطلاح اللسانياتي المتعدد تقتضي اعتبار ثلاثة معاجم متجمعة هي: معجم داخل(في مستوى اللغة المصدر)، ومعجم متوفر(في مستوى اللغة الهدف)، ومعجم ناشئ(في مستوى اللغة الهدف كذالك) 15. ومن ههنا كان تلاحق المعجم المتوفر في اللغة الهدف مع المعجم الداخل في اللغة المصدر لا يفي مشكل المصطلح المتعدد حقه في التجديد والتنسيق بين المصطلحات ومقابلاتها. وتأسيسا على ما سلف بات توافر المعجم الناشئ في اللغة الهدف –الذي يمثل حركية وتطور المعجم المتوفر نحو الجدة

والاستحداث عن طريق التوليد– ضرورة لا مناص منها. وفي هذا الإطار أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة –بوصفه الأسبق في التشريع اللغوي في الوطن العربي– قرارا يعد خرقا رسميا لمواضعات البحث اللغوي أو ما يسمى بعصر الاحتجاج، وقد كانت صيغته بشأن التوليد كما يلي: " **المولد هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب وهو قسمان:**

1 **-قسم خرجوا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما كاصطلاحات العلوم[...] وحكمه أنه عربي سائغ.**
2 **-قسم خرجوا فيه على أقيسة كلام العرب إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب، وإما بتحريف في اللفظ أو في الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح، وإما بوضع اللفظ ارتجالا. والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام**" 16.

وفي رحاب هذا المكسب المنهجي الذي حازته ساحة البحث اللسانياتي العربي نحو منهج تأصيلي للتوليد، طفقت الجهود والمساعي في هذا الميدان تراهن على توحيد المصطلح ترجمة وتعريبا، ومن ثم توحيد المعجم متعدد اللغات من حيث انتقاء المقابلات العربية وفق معايير منهجية ونظرية تتوافق والنسق التصوري العام للغة العربية. ولعل إصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس(فرع مكتب تنسيق التعريب بالرباط) للمعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات(ثلاثي اللغة)، نموذج تجشم من سعة البحث ما تجشم ابتغاء تحقيق الهدف المنشود. يعد القسط الأوفر من هذا الإسهام المنسق من نصيب محمد رشاد الحمزاوي، وعبد القادر الفاسي الفهري (المغرب) تأطيرا وإرشرافا وبحثا. وفي هذا الصدد يرى الفاسي الفهري أن التوليد يتشكل عبر ثلاثة أضرب هي:

–توليد يخص المعنى فقط كالمجاز و التضمين: من مثل نقل bridge verbs بالأفعال الجسور، و Wh Island بالجزيرة الميمية.

–توليد يخص المبنى فقط كما في المعرب، أو ما يسميه علماء الترجمة بالاقتراض الفونولوجي (Emprunt phonologique)من مثل:Sémiologie = سيميولوجيا، Sementemes =سيمانتيمات.

–توليد يخص المعنى والمبنى معا كالاشتقاق والنحت والتعريب الجزئي والتركيب. فمن الاشتقاق مثلا نقل Phonologie بصواتة،Morphologie بصرافة، وSémantique بدلالة. واستعمال صيغة"فعالية" للدلالة على معوقات الملكة اللغوية مثل: كتابية Agraphie، وقرائية ل Alexia. ومن النحت نقل: Allophone بـ: بدصوته منحوتة من كلمتين بديلة صوتية. وكذالك Alloseme بدسيمة...الخ ومن التعريب الجزئي مثلا نقل: Sociolinguistique بـ: سوسيولسانيات، Psychlinguistique بـ: بيسيكولسانيات، وMétalangage بـ: ميتالغة [17]

هكذا يتضح لنا أن العلامة المغربي يسعى إلى نهج الاتجاه التعريبي في نقل المصطلح اللسانياتي وفق قيود نظرية ومنهجية يحكمها النسق التصوري العام للغة الهدف (العربية)، وبالخصوص تلك التي يقوم عليها المعجم الناشئ ، في حين نجد "رشاد الحمزاوي" يسلك الاتجاه الترجمي، وهو إذ يسعى إلى ذلك، يغدو مكترثا بالأبعاد المنهجية لنظرية الترجمة في نقل المصطلح، على نحو ما نجده يردف معجمه بتذييل في منهجية الترجمة للمصطلحات اللغوية نحسبه تعميقا منهجيا وإضافات نوعية بسيطة لما ذكره المغربي"الفاسي الفهري" ومن ذلك:

–التكافؤ في الترجمة غير المباشرة، نحو نقل: Allongement vocalique بـ: إشباع الحركات.

– المؤالفة نحو نقل: Infinitif بـ: مصدر وPréfixe بـ: صدر.

–التحوير وهو مفهوم جديد مثل نقل: Axe de Sélection بمحور الاختبار

Sémiologie = بعلم العلامات، و Enfilage = بالنظم [18] .

ومع ذلك يقر الحمزاوي بنسبية نقل وترجمة المصطلح اللسانياتي دالا ومدلولا انطلاقا من اختلاف الترجمات وأفول معيار التوحيد المنهجي، الشيء الذي يحملنا على اعتبار أهمية القضية فيما استوجبته من عناية، والاكتراث بتقصد هذا المعيار شرعة ومنهاجا لتفادي الوقوع في منعرجات الاضطراب والفوضى في وضع المصطلحات.

3-4 سبيل المنهجية إلى ضبط المصطلح:

يبدو أن مسألة التطابق النسقي بين اللغات عموما، وما بين اللغة المصدر واللغة الهدف خصوصا مسالة عديمة الفحوى، حتى وإن كان هذا التطابق يمس نسقا واحدا من أنساقها...ومن ثم كان الحديث عن التكافؤ بدل التطابق على قدر كبير من الأهمية تغدو معه عملية الترجمة تمثيلا واعيا لخصوصيات اللغة الهدف(langue cible) وفعالياتها، انطلاقا من أنساقها الميتالغية(صرفية–صوتية–تركيبية–دلالية). ومن ثم سهرت الأسلوبية المقارنة– وإن كانت مفاهيمها ومقترحاتها قيد النقاش والجدل في حقل الدراسات اللغوية العربية– على مراقبة عملية نقل المصطلح اللسانياتي وترجمته عن كثب، ولكي يتسنى لنا ذلك ينبغي أن نعرج على المبادئ النظرية التي توختها منهجية ضبط المصطلح اللسانياتي وتوحيده.

لما كانت الترجمة شبكة من العلاقات النسقية والسياقية بين لغة الانطلاق (Langue de départ) ولغة الوصول(Langue d arrive) وجب على المترجم أن يعمل على تكافؤ الصيغ بين اللغتين ابتغاء تحقيق تواصل ميتالغوي منتج. وفي حال انعدام وسائل التكافؤ لزم الاتجاه إلى التطويع في مستوى الوحدات المعجمية والتركيبية والدلالية: مثل كون اللواصق(Affixes) من سوابق (Préfixes) ولواحق (Suffixes) في اللغات الأجنبية في وضع سلسلي يقابله في العربية غالبا الصيغ الصرفية للاشتقاق من مثل: اللاصقة ing في الانجليزية يقابلها المصدر في العربية، واللاصقة er من اللغة نفسها يقابلها اسم الفاعل، وكذا اللاصقة ique يقابلها في اللغة العربية الألف والتاء نحو Linguistique/لسانيات.

إن عملية استقراء الحقول الدلالية في اللغتين المصدر والهدف من شأنه أن يجنب المترجم الوقوع في فوضى الاصطلاح وتضارب المقابلات [19]. فمثلا ترجمة Phonologyبعلم الأصوات الوظيفي هو مراعاة لسياق واحد هو مفهوم المصطلح لدى أنصار مدرسة براغ وأندري مارتيني خصوصا، في حين نجد أن المصطلح ورد في سياقات مغايرة نتساءل كيف يمكن ترجمتها من مثل:(Phonology Functional)، و(Non Functional Phonology) [20]؟؟ هذا إن سلمنا بقبولية الترجمة الأولى. كذالك إن ضرورة استقراء دلالات المصطلح في الحقول المعرفية المختلفة يمكن المترجم من ترصد المعنى المفهومي قدر الإمكان بكشف التشكل الاستعاري للمصطلح ومن ثم التمييز بين دلالة الوضع

Dénotation ، ودلالة الإيحاء connotation. ذلك مثل لفظ argument موضوع، و predicate : محمول، و cordinate : معطوف /إحداثية .

تلكم أهم المحاور والبارامترات النظرية التي يتعين على الباحث المتأهب لسبر أغوار حقل المصطلحية تنظيرا وتطبيقا، أن يستزيد من فعاليتها خدمة لضبط عملية الاصطلاح والمصطلح، وعلمنة الاجتهاد فيهما. ولا ندعي أننا أخدنا بمجامع هذا الموضوع الأسمى، وبلغنا في بحثه الأمد الأقصى، إنما هو تجرؤ قلم تجشم عناء البحث ليكتب أقوال وآراء علمائنا انتقيناها وآراء خطرت على الفكر فتقبلناها وأبينا إلا عرضها والتعريض بها في هذا المقام علنا نصيب ولو إثارة نقد واعتراض من أهل الاختصاص في هذا المجال. وعسى أن يسهم هذا العمل في رفع بعض الصعاب.

الهوامش والمراجع:

1.عبد القادر الفاسي الفهري:اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، ط2 1986،ص.395
2.رشاد الحمزاوي: معجم المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، دار التونسية للنشر، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب. 1987،ص.13
3.المرجع نفسه،ص .13
4.المفهوم الآناكروني نعني به المفارقة الزمنية في استعمال سياقات المصطلح، وارتبط هذا المفهوم بالدراسات اللغوية الحديثة.
5.حول مفهوم التعريبن ينظر د/رشاد الحمزاوي"أعمال مجمع اللغة العربية" القاهرة، دار الغرب الإسلامي،ط1988،2.ص.335
6.ينظر الفاسي الفهري، المرجع السابق، ص396.
7.ينظر الجوهري"تاج اللغة وصحاح العربية" دار الكتاب العربي، بيروت 1956ج2،ص179.

8.عندما يتعلق الأمر بالحديث عن النظام القواعدي الكلي ذي البعد الاجتماعي وجب علينا استعمال مصطلح اللسان حسب التصور السوسوري.
9. ينظر د/الفاسي الفهري: المرجع السابق، ص.398
10. المرجع نفسه. ص399
11. ينظر رشاد الحمزاوي:معجم المصطلحات اللغوية،ص.18
12.ينظر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية،ص.400
13.ينظر رشاد الحمزاوي: المرجع السابق، ص.19
14. ينظر المعجم الموحد للسانيات Sémantique .Dialectologie Philologie. Phonologie. Lexicologie Allophone ..
15.د/الفاسي الفهري: المرجع السابق، ص.404
16. ينظر أعمال الموسم الثقافي للمجلس الأعلى للغة العربية، مدونة المحاضرات الملقاة علم 2000، منشورات المجلس، مطبعة هومة، الجزائر،ص.25
17.ينظر الفاسي الفهري: المرجع السابق، ص.406،405
18.ينظر رشاد الحمزاوي: المرجع السابق، .285،284
19.ينظر : Jean Dubois .librairie larouse dictionnaire de linguistique par T.Phonologie.p375.paris.1973.
20.ينظر الفاسي الفهري: المرجع السابق، ص.401
21.المرجع نفسه، ص402، وينظر كذالك المصطلحية في عالم اليوم،هفيلبر.تر محمد حلمي هليل.مجلة اللسان العربي العدد30، 1988،ص201. مكتب تنسيق التعريب.وكذالك رشاد الحمزاوي: المنهجية العربية لوضع المصطلحات من التوحيد إلى التنميط، المجلة نفسها. العدد 31/25،ص07/04.